

خطاب عبد الله النديم السياسي، دراسة لغوية في التفسير الخطابي^(*)

د. هناء كامل على أبو العينين
أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية
كلية الآلسن - جامعة عين شمس

الملخص:

يتأثر الخطاب السياسي بطبيعة الحياة السياسيّة للمجتمع؛ فكّما ازدحمّت بالأحداث؛ كان ثرياً بما يستحقّ الدراسة، ومن سمات ثراء الخطاب السياسي تصافره مع خطابات أخرى دينيّة وأدبيّة وغير ذلك.

يعنى هذا البحث بدراسة "التفسير الخطابي" في الخطاب السياسي لخطيب الثورة العربيّة: عبد الله النديم التي بثّ فيها أفكاره المعبرة عن معاناة الشعب المصري من الاستعمار وقهر الخديوي إسماعيل، أو ومعبرة أيضاً عن انتصاراته في المعارك المختلفة؛ حيث كانت الحياة السياسيّة في مصر تـموج بالكثير من الأحداث، وجاءت خطابات النديم مرآة عاكسة لتفاصيلها كلّها؛ نظراً لقربه من الشعب، وتقلّله بين الكثير من الأماكن في مصر، فترة اختفائه عشر سنوات.

تعالج الدّراسة "التفسير الخطابي" في خطابات عبد الله النديم السياسيّة؛ حيث توضّح أسباب انتقال الخطاب الديني والشعري إلى الخطاب السياسي، وهل طرأ تغيير في النصّ المنقول؟ وما الأسباب الدّاعية لذلك؟ وكيف تغيّر السياق بعد تفسير الخطابين؟ وما سبب هذا التغيير؟، يُجيب هذا البحث عن هذه التساؤلات في ضوء معرفة السياق الخارجي للخطابات المتداخلة.

الكلمات المفتاحيّة: التفسير الخطابي، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الخطاب الشعري.

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٢) العدد (٨) أكتوبر ٢٠٢٢.

Abdullah Al-Nadim's political discourse A linguistic study in Interdiscursivity

Political discourse is affected by the nature of the political life of society. the more crowded with events; it was rich in what deserves to be studied, and one of the characteristics of the richness of political discourse is its intertwining with religious, literary discourses.

This research is concerned with the study of "Interdiscursivity" in the political discourse of the orator of the Orabi revolution: Abdullah Al-Nadim, in which he spread his ideas expressing the suffering of the Egyptian people from colonialism and the oppression of Khedive Ismail, or expressing also his victories in various battles; Where the political life in Egypt was rippled with many events, and Al-Nadim's discourses came as a mirror for all its details; Due to his proximity to the people, and his movement between many places in Egypt, his disappearance period was ten years.

The study deals with " Interdiscursivity" in Abdullah Al-Nadim's political discourses. It explains the reasons for the transition of religious and poetic discourse to political discourse, and has there been a change in the transmitted text? And what are the reasons for that? How did the context change after the two letters were braided? What is the reason for this change? This research answers these questions in light of the knowledge of the external context of the overlapping discourses.

Keywords: Interdiscursivity, Political discourse, religious discourse, poetic discourse.

مقدمة:

قبل البدء في معالجة صور التضمير الخطابى عند عبد الله النديم، لا بدّ من التمهيد لهذا بمقدمة نظريّة قصيرة حول كلّ من: مصطلح (التضمير الخطابى)، و(الواقع السياسى والصحفىّ في مصر خلال القرن التاسع عشر).

• أولاً: التضمير الخطابى Interdiscursivity:

تجدر الإشارة في البداية إلى أنه لا توجد دراسات عربيّة سابقة قد تناولت "التضمير الخطابى" - على حدّ علم الباحثة - إلا ما تناوله دكتور عماد عبد

اللطيف عندما ترجم المصطلح الإنجليزي Interdiscursivity إلى "التصفير الخطابى" ٢٠٠٥^(١)، ومعظم الدراسات المتوقّرة هي دراسات أجنبيّة، رجع البحث إليها، كما سيظهر فيما يلي:

يُعرف التصفير الخطابي بأنه: "خلط أو مزج بين خطابات مختلفة أو أنماط متنوعة أو أساليب متعدّدة في نص واحد"^(٢).

ويُترجم أيضاً بـ"التداخل الخطابي"، وفيما يتعلّق بترجمة المصطلح نفسه Interdiscursivity يقول د. عماد عبد اللطيف: "ويترجمه البعض بالتداخل الخطابي. غير أنني آثرت منذ ٢٠٠٥ أن أستخدم مصطلح "التصفير الخطابي"، لكونه يحمل فحوى الارتباط الوثيق الغرضي بين الخطابات"^(٣).

ومصطلح "التصفير الخطابي" متجدّر بمعناه في نظرية التحليل النقدي للخطاب CDA، التي تُبنى على دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي لإظهار أيديولوجيات الفاعلين في الثنائي: علاقات القوّة بين الفاعلين المهيمنين والمرؤوسين^(٤). ويقدم "التصفير الخطابي" في التحليل النقدي للخطاب بوصفه جزءاً من مصطلح "التناصّ Intertextuality" الذي عرّفه فيركلاف Fairclough (١٩٩٢) بأنه: "مفهوم عام لكلّ النصوص التي تحتوي على نصوص أخرى"^(٥). وقد ارتبط المصطلحان معاً؛ بل إنّ البعض يعدّ التناصّ مرادفاً للتصفير الخطابي، وأنه يمكن استخدام أحدهما محلّ الآخر^(٦).

ويرجع مصطلح "التصفير الخطابي" أو "التداخل الخطابي" إلى باختين Bakhtin (١٩٨١)؛ حيث تبنّى وجهة نظر مفادها أن أيّ نصّ إنّ هو إلا مزيج من أصوات الآخرين بجانب صوته الخاصّ، ويربطه بمفهوم آخر هو مفهوم: الحوارية dialogicality^(٧) الذي استعمله ليشير إلى "توع من العلاقات بين النصوص يستجيب فيها نصّ ما لنصّ آخر؛ إما على نحو جليّ؛ فنكون أمام حوارية ظاهرة Over dialogicality، حيث تحضر ذوات النصين وذوات المتكلمين فيها... أو على نحو مخفي؛ فنكون أمام حوارية مستترة hidden dialogicality... حين يكون المُتخاوّر معه مخفياً وكلماته غير موجودة"^(٨).

فهو يرى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المصطلحين، وأنه أحياناً ما يُستخدَمان بالتبادل في أدبيات تحليل الخطاب، ويرى أيضاً أنّ النصوص كلها حوارية، فلا يمكننا فهم نصّ ما إلاّ مع نصوص أخرى متّصلة به، سواء كانت صريحة أو ضمنيّة^(٩).

ويذكر د. عماد عبد اللطيف فروقاً واضحة تميّز بين "التفسير الخطابي" وغيره من العلاقات النصّية، فيقول: "يشير المصطلح إلى التفسير بين خطابات تنتمي إلى حقول مخصوصة من النشاط البشري، أو أنواع لها تقاليدھا الخطابية الخاصة. فالتفسير الخطابي "شكل من أشكال التناص، يحدث عندما تترايط خطابات، وأنواع مختلفة، في حدث اتصالي ما ... بصياغة أخرى فإن التفسير الخطابي يتحقق حين يحدث التناص على مستوى الخطابات أو الأجناس (الأنواع) الخطابية"^(١٠).

ونضرب مثلاً على ذلك: إذا أردنا أن نقوم بإنشاء إعلان يتناول معلومات تخصّ جهاز الكمبيوتر، واستعنّا في هذا الإعلان بصورة وأبيات شعريّة؛ فإنّ هذا يمثل نوعاً من التفسير الخطابي؛ حيث الاستعانة بنصوص أدبيّة في نصّ علمي، أنشأ نصّاً هجيناً يمزج بين خطابات مختلفة^(١١)، كما أنّ القصيدة هي نوع خطابي مختلف عن النوع الخطابي الخاصّ بالإعلان؛ فكلّ منها بناء مختلف.

وفي مقاربة فيركلف Fairclough الخاصة بتحليل التناص وغيره من صور تداخل الأنواع في الخطاب، ركّز على الظروف الاجتماعية والتاريخية للخطاب ودورهما في التأثير في هذه النصوص المتفاعلة^(١٢). وبناءً على ذلك، فإنّ التفسير الخطابي يعني ربط النص بالسياق الخارجي، ومعالجة كيف أنّ الخطابات والأنواع النصّية المختلفة التي يُجمَع بينها لإنتاج نصّ ما، تُفسّر أو تُفهم استناداً على السياق الذي أنتجت فيه^(١٣)، فالسياق بالنسبة للخطاب مكوّن أساسي من مكونات تحليله، ودون معرفة عميقة وشاملة بعناصره، سوف يكون من الصعوبة بمكان دراسة وظائف الخطاب أو تلقيه. ويتكوّن السياق من

مجموعة عناصر منها؛ المحددات الفيزيقيّة، والزمنيّة والمكانيّة، والتاريخية لعمليات إنتاج الخطاب، وتداوله، وتلقيه، والاستجابة له... والفاعلون الاجتماعيون المشاركون... وعادة ما يلجأ الباحثون إلى تحليل عناصر السياق الأكثر دلالة وأهمية في الخطاب^(١٤).

ومما سبق يمكن رصد النقاط التالية:

- ١- تعدّد ترجمة المصطلحات الدالة على المصطلح اللاتيني Interdiscursivity، ما بين "تفسير الخطاب" (الذي اعتمده البحث)، و"التداخل الخطابى" الذي فاقه شيوعاً.
- ٢- يرتبط مصطلح "التفسير الخطابى" بمصطلحات أخرى؛ أشهرها: التناص، والحواريّة^(١٥).
- ٣- يتميّز "التفسير الخطابى" عن غيره من العلاقات النصيّة بأنه يتمثّل في المزج بين الأنواع أو الخطابات أو الأساليب في النصّ الهدف والنصّ المصدر.
- ٤- يمكن دراسة "التفسير الخطابى" في الأشكال الخطابيّة المختلفة؛ سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، لغوية أو غير لغويّة.
- ٥- يعتمد "التفسير الخطابى" بشكل أساسي على السياق في النصوص المتضافرة.

وانطلاقاً من النقطة الأخيرة يعرض البحث فيما يلي ملخّصاً للسياق الخارجى الذي أنتجت فيه خطابات عبد الله النديم...

● ثانياً: الواقع السياسي والصحفي في مصر خلال القرن التاسع عشر:

انتعشت الحركة الفكرية في مصر في مطلع القرن التاسع عشر؛ بسبب قيام الحملة الفرنسية على مصر وظهور محمد علي؛ فقد أثار دخول الفرنسيين مصر اهتمام المصريين إلى ضرورة إصلاح حياتهم من شتى جوانبها؛ من علم وأدب ودين وسياسة وغير ذلك، وأخذ المصريون يفهمون كلمات جديدة كالحرية وحقوق الشعب، وكان هذا الفهم هو الذي بصّر المصريين بما هم فيه من جهل

وعبودية^(١٦). وصادف ذلك نزول جمال الدين الأفغاني مصر، وكان يحمل أفكارًا للنهضة بالإسلام والمسلمين، والوقوف في وجه الاستعمار، وكان وجوده دافعًا لإنشاء بعض الصحف "حيث إنه لا جامعة لقوم لا لسان لهم"^(١٧)، والصحف هي لسان الشعوب، فأخذت الصحف السياسية طريقها للظهور^(١٨).

وعبد الله النديم^(١٩) هو الأديب الكاتب الشاعر الناثر الخطيب السياسي، وُلد في الإسكندرية سنة (١٩٤٣ - ١٨٩٦)، حفظ القرآن وأتمه قبل أن يبلغ التاسعة من عمره، أدخله أبوه المدرسة الدينية الكبرى الشهيرة بـ"جامع الشيخ إبراهيم"، فحضر دروس أكابر المشايخ فيه، فأتقن الفقه الشافعي والأصول والمنطق وعلوم الأدب اللسانية، وبلغ منها ما لم يبلغه أحد من قبله، وهو في سن المراهقة، فأخذ يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع، وتفوق على كل معاصريه وزاد عليهم بابتكار أساليب جديدة في الإنشاء، ترك الجامع بعد ذلك لاعتراضه على طريقته في التعليم لجمود العقلية المسيطرة عليه، وتعلم صناعة التلغراف ليقف على أسرار الأمم والممالك في سياساتها؛ حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها؛ لعله يقدر على إصلاح الفاسد وتقويم المعوج، ولم يعوقه عمله عن تحصيل العلم، فالتحق بالجامع الأزهر، ومن بين رفقة العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول بنظارة المعارف المصرية وقتها، وكان دائم الحضور لمجلس أستاذه جمال الدين الأفغاني. ثم طرأ بعد ذلك من الحوادث ما أوجب انفصاله عن الخدمة، فاتصل بكثير من المقربين العظماء، وكانت له مجالس حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين، طارحوه وناظروه في أساليب متنوعة وفنون متعددة من النظم والنثر، فظفر بهم جميعًا، ولما ضاق بالغبية رجع إلى الإسكندرية ثانية، وهنا أشرقت شمس حياته السياسية ليستضيء بها الشعب المصري كله^(٢٠).

وقد كانت مصر قبل ظهور عبد الله النديم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسرحًا للأعيب السياسة؛ فهي مطمح للدول الأوربية وأهواء الباب العالي، وأثرة الأسرة الحاكمة، وكان الخديوي إسماعيل في أواخر حكمه، وقد

ناعت البلاد بظلم حكومته المطلقة، وقد أدت الديون الكثيرة التي أوقع مصر فيها إلى تدخّل الأجانب في شؤونها^(٢١). ويمكن القول بأن كثرة الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي كانت تمرُّ بها البلاد، كان لها أكبر الأثر في ظهور طبقة من المصريين الأفذاذ في مجالات السياسة والأدب، أمثال عبد الله النديم^(٢٢)، الذي يعدُّ أول خطيب مصري يقف بين الحكام الظالم، ويخطب في الناس في كل مكان، ولُقّب بـ"خطيب الشرق" و"محامي الوطن" و"محيي الوطنية"، وأطلق على محافله الوطنية "سوق عكاظ" و"معرض باريس"^(٢٣).

والمعروف أن الخطب السياسيّة هي أحد أشكال التواصل السياسي في العالم العربي قديماً وحديثاً، وأن هذه الخطب كان لها دور في كتابة التاريخ العربي في العصور القديمة؛ لكنها كتبت جزءاً أكبر من تاريخ العرب السياسي الحديث في العصور الحديثة، وهذا ما قامت به خطب عبد الله النديم ومقالاته أيضاً؛ حيث أسهب في الكتابة عن المظالم التي تعرّض لها المصريون في تلك الفترة^(٢٤).

وتراث عبد الله النديم الفكري متعدّد الجوانب^(٢٥)؛ سنقصر الحديث فيه على صُحُفه^(٢٦) الثلاثة، وهي على النحو التالي:

- أولاً: **التنكيّت والتبكيّت**: صدر أوّل عدد منها بتاريخ ١٨٨٦/٦/٦، وعن موضوعاتها فقد أوضح النديم في افتتاحيّة للعدد الأوّل منها؛ قال: "إنما هي صحيفة أدبية تهذيبيّة تتلو عليك حكماً وأدباً ومواعظ وفوائد ومضحكات بلغة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معها الجاهل إلى تفسير... تصوّر لك الوقائع والحوادث بصورة ترتاح إليها النفوس وتميل، ويخبرك ظاهرها المستحسن المستهجن بأن باطنها له معان مألوفة"... ولا تظن مضحكاتها هزءاً بنا ولا سخرية بأعمالنا، فما هي إلا نفاتات مصدر وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنّا بماضينا"^(٢٧).

ويمكن إيجاز موضوعاتها في ثلاث نقاط: الأولى: موضوعات ركّزت

على نقد تصرفات الحُكَّام الأجانب، الثانية: موضوعات تناولت آفات المجتمع المصري، الثالثة: موضوعات اختصت بالدفاع عن مصر والدين والوطنية. ومع أنه كان ينتقد فيها أبناء وطنه، إلا أنه كان يأبى أن يقلل أجنبي من شأنهم، لذلك هاجم الإنجليز على صفحاتها كثيرًا... كما احتوت على قوالب كثيرة مثل الزجل والقصص الرمزية والمحاورات والنوادر^(٢٨).

- **ثانيًا: الطائف:** في ١٧ أكتوبر ١٨٨١ أرسل أحمد عرابي خطابًا لدار المطبوعات قال فيه: "لدخولنا في عصر جديد وفوت زمن "التنكيت" اقتضى تبديل جريدة "التنكيت والتبكيك" الأدبية التهذيبيّة، كما استقر عليه الرأي بالممارسة مع حضرة الفاضل عبد الله أفندي... باسم "لسان الأمة" وأن يكون موضوعها سياسيًا للذب عن حقوق الأمة"^(٢٩).

ولعلّ الاسم الجديد الذي اقترحه عرابي لم يُرَقْ للنديم، فأصدرها باسم "الطائف"، ولم تُصدَر في الموعد الذي حُدِّد لها؛ فقد ظلَّ العدد التاسع عشر يحمل الاسم نفسه "التنكيت والتبكيك" ١٠/٢٣/١٨٨١، وظهر أول عدد منها في ثوبه الجديد في ١١/٢/١٨٨١، ولم يعدّها النديم منفصلة عن "التنكيت والتبكيك"؛ بل صرَّح أنها امتداد لها^(٣٠).

وقد صارت "الطائف" هي لسان الثورة، وكانت موضوعاتها سياسيّة عنيفة^(٣١)، واحتلت المكانة الأولى بين الصحف في ذلك الوقت، وكانت الصحف الوطنيّة والأجنبيّة تعدّها مصدرًا موثوقًا تتقل عنه الأخبار والمقالات^(٣٢).

- **ثالثًا: الأستاذ:** وقد ظهر العدد الأوّل منها في أغسطس ١٨٩٣، ورغم أنّ أغلب الموضوعات التي تناولتها اختصت بالإصلاح الاجتماعي وإصلاح التربية والتعليم؛ فإنها تناولت بعض الجوانب السياسيّة، وكانت أولى الأفكار التي دافعت عنها أن مصر للمصريين لا للأوروبيين ولا لتركيا، وناصرت الحركة الوطنيّة، ودعا النديم فيها إلى الالتفاف حول الخديوي، وكانت هذه الجريدة هي الأستاذ لمصطفى كامل في صباه، وقد صدر العدد الأخير منها

١٨٩٣/٦/١٣^(٣٣).

أما المنهج المتبع في هذا البحث فإنه يقوم على معالجة التفسير الخطابى في بعض خطابات عبد الله النديم السياسيّة المنشورة في صُحفه، بالإضافة إلى ما جُمع في كتب أخرى مثل "سلافة النديم"، في ضوء ما ذكره البحث ممّا يخصّ السياق التاريخي لهذا الخطاب، وكيفية توظيف التفسير الخطابى للآيات اللغويّة المختلفة للتعبير عن المقاصد السياسيّة في ذلك العصر.

وقد ظهر تفسير هذه الخطابات السياسيّة مع الخطاب الدينى بشكل جليّ؛ فالخطاب السياسي هو نوع من أنواع الخطابات التي تتناول قضايا سياسيّة، تُوظف اللغة فيه بهدف التأثير في المتلقّي وإقناعه، ولعلّ لتربية النديم الدينيّة وحفظه القرآن، ودراسته لعلوم الدين المختلفة كان سبباً في تداخل الخطاب الدينى مع خطابه السياسيّة. واستعانة السياسيين بالنصوص الدينيّة يعطي الخطاب السياسي قوّة مستمدّة من قدسيّة النصّ الدينى ومكانته لدى المتلقّين. وبلي الخطاب الدينى في خطابات عبد الله النديم الخطاب الشعري، وهما على النحو التالي:

- أولاً: التفسير مع الخطاب الدينى:

والخطاب الدينى هو خطابٌ يستند إلى مصادر التشريع الإسلامى؛ وهي القرآن الكريم، والسنة النبويّة، ومصادر التشريع الإسلامى الأخرى.

وظهر في خطابات عبد الله النديم في صورتين، هما: التفسير الخطابى المتقارب، والتفسير الخطابى المتباعد:

(١) التفسير الخطابى المتقارب: ويعنى أن يتداخل خطابه السياسي مع الخطاب الدينى بقوّة، فتتوالى نصوص الآيات القرآنيّة بكثافة متتابعة متقاربة، ومثال على ذلك:

«خطبته عشية إعلان إنجلترا الحرب على مصر في عام ١٨٨٢، نذكر منها

قوله: "يا أهل مصر إنَّما آجال الناس محدودة ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فاخرجوا لحرب عدوكم ولا تخشوا الموت، فلكل أجل كتاب ... يا أهل مصر ليس من قعد عن نصر الله كمن جاهد في سبيل الله. لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله، أولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً، والله عنده أجر عظيم. يا أهل مصر إنَّما الإنجليز نجس فلا يقرّبوا البلاد بعد عملهم هذا. وإن خفتم ضعفاً فتآزروا وتعاونوا ينصركم الله عليهم، والله قوي عزيز. لستم القائمين بالواجبات ولا حاملين لأراضيكم وبلادكم إن تقاعدتم عن حرب الإنجليز الخائنين، كيف وإن يظهرها عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمّة، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم.

يا أهل مصر إن الإنجليز يقولون مصر هي حصن البلاد العربية، من فتحها فقد أخذ بلاد المسلمين، فهبوا للدفاع عن وطنكم، وتقوُّوا واحفظوا حصن البلاد الإسلامية، وجاهدوا في الله حق جهاده، لتحفظوا هذا الدين العظيم، وتدفعوا عدواً يريد أن يدخل بالخيال والرجال في بلد الله. يريد أن يدخل الكعبة المشرفة عن طريق بلادكم، وقد استعان على أغراضه بخديوكم الذي باع الأمة إرضاءً للإنجليز، وجعل بلاد الإسلام مقابل حماية الإنجليز له^(٣٤).

قال النديم هذه الخطبة في وقت صدور قرار الخديوي بعزل أحمد عرابي، في منشور علّق في شوارع الإسكندرية، وانحاز وقتها للإنجليز، فطاف النديم في الشوارع يستنهض همّ الناس بكلامه، وكانت هذه الخطبة إحدى خطبه في هذا الوقت، فجاءت مشحونة بنصوص الآيات القرآنية التي تحثّ المصريين على قتال الإنجليز، ويبدو التضمير واضحاً عندما تُقارن بين السياق الأصلي للآيات القرآنية، وبين مكانها هنا في خطبة سياسية، على النحو التالي:

١- بيثّ عبد الله النديم بداخلهم الطمأنينة عن طريق تذكيرهم بأنّ قتالهم الإنجليز لن ينقص آجالهم إذا جاءت؛ حيث اجترأ بداية الآية القرآنية "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [الأعراف: (٣٤)]، ووضع مكانها في خطبته "إنما آجال الناس محدودة"، واستكمل كلامه بنهاية الآية. ويمكننا القول فيما يخص عملية الاجتزاء في التفسير الخطابي إن كل فعل خطابي فيه يمارس عملية استبعاد واختيار. واعية أو غير واعية. من بين العناصر المكونة للنص الذي يتضافر معه، ثم يقوم بعملية تكيف لما يختاره، وعلى الرغم من أن هاتين العمليتين تبدوان طبيعيتين؛ فإنه من الضروري طرح أسئلة تتعلق بمحركات الاستبعاد والاختيار، وطبيعة التغيرات التي يحدثها النص المتناص في النص المتناص معه، والأثر الذي يمارسه السياق اللغوي للنصين (Co-text) وسياقيهما الخارجيين (Con-text)^(٣٥).

وقد قدّم النديم نصّ هذه الآية على استخدامه الأمر في قوله "اخرجوا"، والنهي في قوله "لا تخشوا الموت"، تهيئةً لهم لما فيهما من حزم، وختم أمره ونهيه بنصّ آية قرآنية أخرى تحمل المعنى نفسه؛ لكنها من سورة أخرى، وهي قوله تعالى "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" [الرعد: (٣٨)]، فتنكرار كلامه هنا عن الآجال ومحدوديتها عند الله تعالى بوقت معلوم لا يقدمه قتال ولا يؤخره قعود عنه، هذا التكرار يؤكد معنى الطمأنينة ويرسخ اليقين عندهم بعدم الخوف من الموت، والتكرار في عموم آية إقناع قويّة، فكيف إن تحقّق عن طريق توظيف نصّ قرآني، له في النفوس قوّة وسلطة تفوق غيره. وتجدر الإشارة إلى أنّ سياق الخطاب القرآني هنا في هاتين الآيتين لم يخصّه الله بقوم أو أمة ما؛ إنّما هو موجّه لكلّ أمة بصفة العموم.

٢- بعد ذلك جاء التفسير مع قوله تعالى: "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" [النساء: (٩٥)]، تضافر جزء من نصّ الآية القرآنية مع نصّ النديم الذي ذكره قبلها في قوله "يا أهل

مصر لا يستوي مَنْ قعد عن نصر الله كَمَنْ جاهد في سبيل الله"، وكأنه يذكر الآية بعد كلامه دعماً لحجته في سبيل إقناعهم بالقتال ضدّ الإنجليز، وزيادة في مصداقية ما يحثُّهم عليه.

ويسترسل بعدها في ذكر جزاء الله لمن جاهد في سبيله (أي لمن قاتل الإنجليز) في تفسيرٍ منقطعٍ لآياتٍ متتاليةٍ من سورة التوبة، وهي قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (٢٠) "يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ" (٢١) "خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" (٢٢) "[سورة التوبة]. سورة التوبة التي تحدّث الله فيها عن الجهاد وقاتل المشركين تتداخل آياتها مع سياق نص الخطبة هنا زيادةً في ترغيب المصريين في الخروج لملاقاة الإنجليز؛ فكان من الممكن أن يكتفي بتفسيرٍ واحدٍ مع نصّ آيةٍ واحدةٍ؛ لكن توالي الآيات التي تحثُّهم على الجهاد متضافرةً مع أسلوبه الموجّه إليهم يزيد من طاقة الخطاب الإقناعية.

كما أنّه بعد أن خاطبهم في الفقرة الأولى عن الآجال المكتوبة، لم يكتفِ بتذكيرهم بذلك؛ وإنما قصد أن يعدّد ما أعدّه الله للمجاهد في سبيله من جنّات ونعيم.

- يواصل عبد الله النديم تفسير خطابه مع خطاب القرآن في سورة التوبة، بوصف الإنجليز بلفظ انفعاليّ قوي سلبيّ الدلالة؛ وهو "النجاسة" كما وصف الله المشركين بها في قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (٢٨). وكأنه يساوي بينهم وبين المشركين في الوصف والفعل، فكما نهى الله المؤمنين عن السماح لهم بالاقتراب من المسجد الحرام؛ يوجّه عبد الله النديم تحذيره أيضاً إلى المصريين بقوله "فلا يقربوا البلاد بعد علمهم هذا"، فكما حرّم الله تعالى على المشركين دخول المسجد الحرام بعد عامهم ذلك لنجاستهم، كذلك يوجّه الشعب المصري لتحريم دخول الإنجليز

مصر بعد عملهم، فأفعلهم بالشعب المصري نجاسة في نظره. وتقسّم د. إيمان السعيد الألفاظ الانفعاليّة المستخدمة في الخطاب إلى ألفاظ انفعاليّة بذاتها، وأخرى تكتسب المعنى الانفعالي من السياق المذكورة فيه^(٣٦)، ولفظ (نجس) هنا هو انفعاليّ بذاته، فهو يثير النفس سلبياً بمجرد قراءته أو سماعه.

ويستخدم بعد ذلك أسلوب الشرط القرآني بمعناه "وإن خفتن عيلة؛ أي ضعفاً، ويذكر الجواب بما هو أعلم به من شؤون شعبه "فتآزرُوا وتعاونوا ينصركم الله عليهم والله قوي عزيز"؛ فقد كان من أكثر الناس اختلاطاً بالشعب وأعلم بما قد أنزله بهم الإنجليز من خوف جزاء ممارسات القمع والبطش بهم على مدار سنوات طويلة، فيستخدم أسلوب الأمر ناصحاً إياهم بالتعاون، والله سينصرهم بقوّته وعزّته.

ويوظف عبد الله النديم الاستفهام في الفقرة نفسها بالتضفير الخطابى مع بداية آيتين؛ كلّ منهما في سورة مختلفة، وتتناول معنى مختلفاً، وهما قوله تعالى: "كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)". تضافر نصّ بداية هذه الآية مع نصّ نهاية آية أخرى من سورة البقرة وهي قوله تعالى "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ (٤٩)". تتناسب بداية الآية الأولى مع نهاية الآية الثانية؛ فهو يريد أن يحذّر المصريين بأن الإنجليز لا أمان لهم ولا قرابة تجمعهم بهم، فإن ظفروا بهم فعلوا بهم فعل آل فرعون من ذبح واعتداء؛ وهنا نرى أن النديم قد استبدل بنهاية آية التوبة نهاية آية سورة البقرة؛ لأنها أشدّ في المعنى، فهي تشتمل على ألفاظ تعكس شدّة إجرام الإنجليز "سوء العذاب/ يذبحون أبناءكم/ يستحيون نساءكم/ بلاء عظيم". فالتضفير يتمّ هنا بين آيات قرآنيّة من سور مختلفة، عن طريق استخدام الاجتزاء من نصوص كلّ آية لمناسبة سياق خطاب عبد الله النديم السياسي.

- يختم خطابه بأمرٍ تداخل مع نصّ الآية القرآنيّة من سورة الحجّ "جَاهِدُوا فِي

اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ" (٧٨)، فبعد أن حدّثهم عن فضل الجهاد وجزائه، ونبذ الخوف والحثّ على التعاون، استخدم فعل الأمر من القرآن الكريم "جاهدوا" بعد أفعال أمر أخرى "هبّوا.. تقوّوا ... احفظوا .. جاهدوا ..."، وختّم نصّحه لهم بالأمر القرآني، هذا الفعل المؤكّد بالمصدر بعده "حقّ جهاده"؛ يريدهم أن يجاهدوا حقّ الجهاد، وأن يكون ذلك لله تعالى لا لهوى.

هكذا نشأ التفسير للخطاب القرآني مع الخطاب السياسي في خطبة عبد الله النديم، والملاحظ أيضاً أنه قد استخدم بعض الآليات، وبعض الكلمات والتراكيب، التي تعدّ من سمات الخطبة الدينيّة، وهي:

١- في الفقرة الأولى من خطبته استخدم التركيب "عدوّ الإسلام" وصفاً للإنجليزي في قوله: "هذه أيام يمتطي فيها بنو مصر صهوات الحماسة وغوارب الشجاعة... لمحاربة عدوّ مصر، بل عدوّ العرب، لا بل عدوّ الإسلام"؛ فهو يصعد الوصف بالتدرّج عن طريق استخدام "بل" أولاً التي تقرّر حكم ما قبلها، ثم استخدام النفي قبلها مرّة ثانية "لا بل"؛ ليُمنع في تقرير هذا الأمر ويعظّمه في أعينهم؛ فهم ليسوا أعداء لمصر وحدها ولا للعرب فقط؛ بل فوق ذلك أعداء للدين؛ ويذكر ذلك في مفتح خطابه تهيئة لهم ليحدّثهم عن الجهاد في سبيل الله، فهي حرب على الإسلام، وحماية الوطن من أساسيات الإسلام؛ لذا وجب عليه الجهاد من أجل صدها.

٢- استخدام الدّعاء في الفقرة الأولى أيضاً في قوله: "الدولة الإنجليزيّة، خذلها الله وردّ كيدها في نحرها"، وهذا دعاء مأثور عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم، عن أبي موسى الأشعريّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم كان إذا خَافَ قَوْمًا قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعُكَ فِي نَحْوِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ" رواه أبو داود والنسائي بإسنادٍ صحيح^(٣٧).

٣- استخدامه التراكيب من قبيل: "بلاد المسلمين"، و"بلاد الإسلام"، و"حصن البلاد الإسلاميّة"، فربط مصر بالدفاع عن الإسلام يمثّل

وسيلة من التفسير بين الخطاب الديني والسياسي؛ حيث ربط الدفاع عن مصر ضدّ الإنجليز بالدفاع عن الإسلام، وقوله أيضاً مخاطباً إيّاهم "جاهدوا.... لتحفظوا هذا الدين العظيم". وإشعال غضبهم عن طريق ذكر نيّة العدوّ في دخول "الكعبة المشرفة" عن طريق الاستيلاء على مصر، هذه التراكيب الانفعالية كلّها من شأنها التأثير فيهم ومسّ عواطفهم بقوة، ومن ثمّ النجاح في دفعهم للتحرك لقتال الإنجليز.

ويظهر التفسير الخطابي جلياً في الخطبة، كما في الجدول التالي:

الخطاب القرآني	الخطاب السياسي	التفسير الخطابي
"لا يستوي القاعدون من المؤمنين... والمجاهدون في سبيل الله"... "أولئك هم الفائزون"... "يبشرهم ربهم برحمة منه... والله عنده أجر عظيم".	دُكرت بنصّها.	المصريُّون المجاهدون من المؤمنين = هم الفائزون، سيرحمهم الله ويرضى عنهم ويدخلهم جنات خالدين فيها أبداً، لهم فيها نعيم مقيم.
"إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا".	إنما الإنجليز نجس، فلا يقربوا البلاد بعد عملهم هذا...	الإنجليز نجس، حرام عليهم قرب مصر بعد كل ما فعلوه.
"وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله".	وإن خفتم ضعفاً فتأزروا وتعاونوا ينصركم الله...	لن يغنيكم الله ولن ينصركم، إلا بتعاونكم وتآزركم.
آل فرعون "يذبّون أبناءكم ويستحيون نساءكم".	الإنجليز يذبّون أبناءكم...	الإنجليز = آل فرعون في العدوان والتجبر.
"جاهدوا في الله حقّ جهاده".	دُكرت بنصّها في الخطاب.	قتال الإنجليز جهاد.

وأخيراً يمكن أن نقول إنه رغم قصر هذه الخطبة طويلاً . قياساً بخطبه الأخرى . ؛ فإن عبد الله النديم قد حملها الكثير من الطاقة الإقناعية، التي تُحرِّك المصريين وتدفعهم للتحرك للدفاع عن بلدهم، وتحقق ذلك عن طريق التفسير بين الخطاب الديني والخطاب السياسي، تفسيراً قد يُوحى بأن الخطبة دينية لا سياسية؛ نظراً لنتابع نصوص الآيات القرآنية والتعبيرات القرآنية فيها بكثافة، فلو اقتنعنا من خطبته هذه النصوص الدينية لفقدت الخطبة حماسها وحجتها في الإقناع، وهذا يعكس سلطة الخطاب الديني على المتلقين وهيمنتته عليهم وقوته في النفاذ إلى النفوس.

كما أنه في دعوته إلى الدفاع عن الوطن عن طريق تفسير الخطاب الديني مع السياسي، لا يرفع قدر الخطاب السياسي فحسب؛ وإنما يحوّل القضية من سياسية إلى قضية مدعومة دينياً بنصوص قرآنية، يدخلها في نسيج نصّه، وكأنها جزء منه.

◀ يتحدث عبد الله النديم في خطبة له عن "يوم المسخوطة"^(٣٨)، ويقول إن العساكر المصرية قد تراجعت في هذا اليوم حسب خطة موضوعة، ثم عادت لتنتقم في يوم "قنطرة القصاصين"^(٣٩) وفي وصفها قال: "إن الله يحب الذين يقاثلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"، وقد اصطف المؤمنون يوم القنطرة صفوفاً، لو أن طائراً حاول المرور من بينهم، ما وجد له سبيلاً، ولو أن جبلاً صادم هذه الصفوف، لارتج من الصدمة وتقهقر أو تدد، وما أدراك ما يوم القنطرة، يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون... يوم أزلت فيه الجنة للمتقين، وبرزت الحجيم للغاوين. يوم كان الموت فيه ملهوقاً على أولاده، يجمعهم بالأحضان... يوم غابت فيه الشمس واشتد لهب جهنم فعاد بالحظ الأوفر... يوم دعا فيه المصريون رجال الإنجليز للهلاك، وهم في متاريس كالأجداث، فكنت تراهم خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر، مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر"^(٤٠).

جاء التفسير الخطابى هنا متمثلاً في:

- بدء خطابه بنص آية قرآنية من سورة الصّف "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)"، أسقط معنى الآية على حالة المصريين وقت قتالهم الإنجليز في معركة القصاصين، أي تحقيق ثباتهم ووحدهم ووصفهم بالبنيان المرصوص، وأبقى على الحرف "إِنَّ" في الآية للتأكيد على محبة الله لهم، كما أنّ في ذكر الله تعالى للحال "صَفًّا" بعد قوله "يقاتلون في سبيله"، ثم التشبيه "كأنهم بنيان مرصوص" هو إمعان في تأكيد وصف ترابط المصريين في المعركة، ولم يكنف بذكر نص الآية القرآنية؛ وإنما أعاد ذكر الفعل مرة ثانية "اصطف"، وجمع الحال في الآية القرآنية "صَفًّا" في سياق خطابه فقال "صفوفا"، للتعبير عن الكثرة، ويتابع وصفه لهذا الترابط فيزيد - في نصّه - على وصف الله تعالى "كأنهم بنيان مرصوص" بقوله: لو أن طائراً حاول المرور من بينهم، ما وجد له سبيلاً، ولو أن جبلاً صادم هذه الصفوف، لارتج من الصدمة وقهقر أو تبدد... أي أنهم ليسوا بنياناً مرصوصاً فحسب؛ وإنما فاقت قوتهم الجبل.

- استخدام عبد الله النديم طريقة القرآن الكريم في السؤال بـ"ما أدراك؟" كما في سورة الحاقّة "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٢)"، وفي سورة القارعة "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ"، يُجيب عن سؤال: وما أدراك ما يوم القنطرة؟، بنصّ آية من القرآن الكريم من سورة المعارج "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)"، ويواصل المبالغة في وصف هذا اليوم باستخدام الأسلوب القرآني في وصف المسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة؛ فكان كثرة الأحداث يوم القنطرة قد جعلت وقته طويلاً، فصار الإحساس به كأنه سنين طويلة، وهذه الآية تعكس الإغراق في المبالغة عند عبد الله النديم، فالمقارنة هنا غير منطقيّة؛ لكنّه يؤثّر في خطاباته الإقناع العاطفي، ويبالغ فيما يُلهب العواطف بلُغته، وهذا يرجع إلى الظروف السياسيّة التي أنتجت فيها هذه الخطابات، فالأحداث كثيرة وقاسية، والإقناع العاطفي أسرع في التأثير في الانفعالات من الإقناع المنطقي. فالرقم هنا (خمسين ألف

سنة) هو مركّب انفعالي، اكتسب انفعاله من السياق الذي استُخدم فيه للدلالة على هول الموقف يوم القنطرة.

- مواصلة عبد الله النديم وصف يوم القنطرة بتضفير خطابه مع الخطاب القرآني في قوله تعالى في سورة الشعراء عن يوم القيامة "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١)" باجتزاء (واو العطف) من النصّ القرآني ليتناسب مع سياق الخطبة؛ حيث تكرر كلمة "يوم" (تكرّر سبع مرّات متتالية)؛ للتعبير عن كثرة الأحداث التي كانت في هذا اليوم، وهو يستخدم آيتين عبارة عن جملتين متقابلتين لإظهار الفرق بين حالتين؛ حال المتقين (ويقصد المصريين) ومآلهم الجنة، وحال الغاووين (ويقصد الإنجليز) ومآلهم الجحيم. ويواصل وصف حالهم - الإنجليز - بتضفير نصّ آيتين قرآنيتين تصفان حال الكفار يوم القيامة أنهم "خُشَعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)" [سورة القمر]، فقلوه "خشعاً أبصارهم" يعكس ذهولهم من صمود المصريين وهؤل ما فعلوه بهم (رغم أنهم هُزموا في نهايتها)، واستخدام التشبيه القرآني "كأنهم جراد منتشر"؛ يعكس حقارتهم وكثرتهم وتشتتهم. إذا فقد ظهر التضفير الخطابى هنا كما في الجدول التالي:

الخطاب الدينى	الخطاب السياسى	التضفير الخطابى
"إن الله يحبُّ الذي يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص".	ذُكرت بنصّها...	الذين يقاتلون في سبيل الله صفاً = المصريون.
"في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة".	يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدُّون...	يوم القنطرة = خمسين ألف سنة.

المتقون = المصريون (مآلهم الجنة). الغاوون = الإنجليز (مآلهم الجحيم).	يوم أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين...	"وأزلفت الجنة للمتقين* وبرزت الجحيم للغاوين".
- الجراد = المنتشر/الكافرون = الإنجليز. - اليوم العسر = يوم القنطرة.	ذُكرت بنصّها.	"خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جراد منتشر* مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر".

(٢) التفسير الخطابي المتباعد:

ويعني أنّ التفسير يظهر في مواضع متناثرة متفرقة على مدار الخطاب كله، في العنوان أو المقدمة أو في الخاتمة أو في أجزاء أخرى من الخطاب، على النحو التالي:

◀ في مقال له بجريدة الطائف بعنوان: "المعمعة، إن جندنا لهم الغالبون"، يقول: "أي بني مصر، خذوا حديثاً يرويه العيان عن المشاهدة، ويخبر به الصدق عن الحقيقة، جهل الإنجليز مقام المصريين، فاعتدوا وأجلبوا عليهم بالخيال والرجل، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره، ولو كره توفيق ومن معه، ونال الإنجليز ألواناً من يد المصريين في ٥ رمضان ١٢٩٩ فأبّت جهنم إلا أن يساق إليها جانب عظيم منهم يزداد به وقودها... حتى إذا جاء أجلهم ساقتهم المنية في يوم السبت زمرا"^(٤١).

يتحدّث عبد الله النديم هنا من ميدان القتال عن اعتداء الإنجليز على الإسكندرية في يوليو ١٨٨٢، بعد أن نصب المصريون بعض مدافعهم على قلعة الإسكندرية، فرأى الإنجليز أن هذا عمل عدائي ضد حكومة صاحب

الجلالة، ووجهوا إنذاراً لعراقي بضرب القلعة من البحر، وتحالف الخديوي سراً معهم. ولم يقبل عراقي الإنذار، فنقذ الإنجليز تهديدهم، وبدأوا في ضرب الإسكندرية في ١٢ يوليو ١٨٨٢.

يظهر التفسير الخطابي هنا في العنوان والمقدمة بوضوح، فالعنوان "إن جندنا لهم الغالبون" مثل تفسيراً مع نص الآية القرآنية "وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" [الصافات: (١٧٣)]، حيث ذكر نص الآية كاملة دون حرف العطف؛ كي يقطعها عن السياق الذي وردت فيه في السورة الكريمة؛ لترتبط بالسياق الجديد في الخطاب السياسي، وهو يمدح المصريين بأنهم "جند الله" "الغالبون"، لينتقل بعدها في المقدمة لدم الإنجليز والخديوي، بالتفسير مع نصوص الآيات القرآنية التالية:

- قول الله تعالى مخاطباً الشيطان: "وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا" [الإسراء: (٦٤)]، يشبه فعلهم بفعل الشيطان في قوله "وأجلب عليهم بالخيال والرجل"، أي كما خاطب الله تعالى الشيطان بأن "يجمع من ركبان جنده ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي" (٤٢)، فهم كالشياطين، في مقابل تشبيه المصريين بـ"جند الله".

- قول الله تعالى عن كفار قريش "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" [الصف (٨)]، جاء التفسير هنا بذكر نص الآية في البداية، واستبدال (الكافرون) في الآية الكريمة بقوله (توفيق ومن معه)؛ أي أنه قد اجتزأ بداية الآية وصاغها بأسلوبه بما يناسب سياق خطابه.

- زاد من بشاعة ذمهم ذكر جزائهم في الآخرة، بأنهم سيكونون وقوداً لجهنم؛ حيث تداخل كلامه مع قوله تعالى في سورة البقرة "فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَآتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" (٢٤). واستخدم المجاز في قوله "قأبت جهنم إلا أن يساق..."، وكأن جهنم هي التي أصرت على أن يكونوا لها وقوداً لقبح أفعالهم، ويزيد من التأكيد هنا استخدام القصر

في كلامه، كما أن بناء الفعل للمجهول "يُساق" يفيد التحقير من شأنهم.

- يُختم التفسير الخِطابي في المقدّمة بلفظ قرآني ورد في سورة الزمر في قوله تعالى "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا" (٧١)، و"زُمَرًا" هنا (أي جماعات)؛ فهو يعبر عن الكثرة، وقد استخدمه مع الفعل "ساق"؛ لكنه بنى الفعل للمعلوم، وذكر الفاعل (المَنِيَّة) تأكيداً لهلاكهم بالموت على أيدي المصريين.

إذاً، فقد جاء "التفسير الخِطابي" في هذا الخطاب كما في الجدول التالي:

الخطاب الديني	الخطاب السياسي	التفسير الخِطابي
"وإن جنودنا لهم الغالبون".	ذُكرت بنصّها القرآني...	المصريّون = جند الله الغالبون.
"وأجلب عليهم بخيلك ورجلك".	فاعتدوا وأجلبوا عليهم بالخيل والركب...	الإنجليز = الشيطان.
"يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره".	ذُكرت بنصّها القرآني...	توفيق باشا والإنجليز = الكافرون.
"فأتقوا النار التي وقودها الناس".	فأبت جهنّم إلا أن يساق إليها جانب عظيم منهم...	الإنجليز وأعدائهم = من وقود النار.

◀ وبالطريقة نفسها ظهر التفسير الخِطابي في مقال تالٍ للمقال السابق، بعنوان: "المعمعة الثالثة، وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها"، يقول عبد الله النديم فيه: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين"، ذلكم العادون المفترون، بغاث الإنجليز الذين استتسروا في الوجود بأوهام وخيالات، واستضعفونا، فجاعوا بالخيل والرجل، وقد زلزلت أرضهم، فأخرجت أثقالها، وثبتت بأقدامنا أرضنا، فكنا أوتادها" (٤٣).

كتب هذا المقال في ميدان القتال بمنطقة المحمودية^(٤٤)، يصف فيه القتال بين المصريين والإنجليز، وكيف انقضت المدافع عليهم فغطت الأرض بجثثهم، فعادوا إلى الإسكندرية منهزمين. وقد ظهر التضفير هنا كما يلي:

- ذكر بداية الآية القرآنية من سورة الزخرف "وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَا لَهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (٤٨)، التي يتحدث الله فيها عن قوم فرعون؛ حيث يقول الله تعالى: "وما نري فرعون وملأه آية، يعني: حُجَّتْ لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى "إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأؤكد من التي مضت قبلها من الآيات"^(٤٥)، ويقصد بـ"هم" تشبيههم بقوم فرعون (كما فعل من قبل)، و"الآية" هي "الحجة"؛ ولكنها هنا تتمثل في قدرتهم على قتال الإنجليز.

- يفتح النديم خطابه بنص آية قرآنية من سورة التوبة "فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ" (١٤)، حيث يأمر الله المؤمنين بقتال المشركين، ويعدهم بالنصر عليهم، وإلحاق الخزي بهم، إن فعلوا ذلك، فيوظف عبد الله النديم المعنى نفسه في السياق السياسي الخاص بالمقال، فيستحث المصريين على قتال الإنجليز ليشفى الله صدورهم بالنصر عليهم، يذكر نص الآية في بداية خطابه قبل أن يفسر كلامه عن طريق ذكر ألفاظ تعكس تجبر الإنجليز (العادون المفترون)، واستخدام اسم الإشارة للبعيد (ذلكم) تحقيراً من شأنهم، ويذكر بعد ذلك المثل (بغات الإنجليز الذين استتسروا في الوجود بأوهام وخيالات)؛ حيث يُساق للضعيف يَفُوقِ ويستبدُّ إذا وانتته الظروف^(٤٦)، فهذه أسباب من شأنها تحث المصريين على قتالهم.

- أخيراً يظهر التضفير الخطابى متمثلاً في استخدام أربع جمل، متداخلة مع النص القرآني؛ الأولى هي "فجاءوا بالخيال والرجل". التي سبقت الإشارة إليها في مقال "المعمعة الثانية". حيث ربطهم بالشیطان، وعطف عليها جملتين متضافرتين مع آيتين من سورة الزلزلة "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ

الأَرْضُ أَثْقَالُهَا (٢) التي يصف الله فيها يوم القيامة، فقد خلعت نصوص هذه الآيات مع نص الآية السابقة وصفاً مريعاً للقتال بين المصريين والإنجليز؛ حيث يبالغ في وصف استعدادهم للقتال ثم النتيجة وهي: "زلزلت أرضهم"، كي يبالغ في المقابل في وصف ثبات الأرض من تحت المصريين بقوتهم، فكأنهم "أوتاداً" أي "جبالاً" كما وصف الله الجبال في سورة عمّ "وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا (٧)".

فاستخدام عبد الله النديم للمقابلة هنا في قوله "زلزلت أرضهم.... وثبتت أرضنا" يظهر الفرق بين الموقفين، ثبات في مكان، مقابل زلزلة في مكان آخر.

ويمكن إجمال ما سبق في الجدول التالي:

التضفير الخطابي	الخطاب السياسي	الخطاب الديني
الآية = الحجة على البراعة في القتال، وغلبتهم عليهم.	ذُكرت بنصّها القرآني.	"وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها".
المشركين = الإنجليز. قوم مؤمنين = المصريون.	ذُكرت بنصّها القرآني.	"قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم ويخزيهم وينصرمك عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين".
الإنجليز = الشيطان.	"جاءوا بالخيل والركب".	"وأجلب عليهم بخيلك ورجلك".
قوة المصريين وثبات الأرض من تحتهم أضعفت الأرض من تحت أقدام الإنجليز وزلزلتها.	وقد زلزلت أرضهم، فأخرجت أثقالها...	"إذا زلزلت الأرض زلزالها (١) وأخرجت الأرض أثقالها".
الأوتاد (الجبال) = المصريون.	فكنا أوتاداً...	"والجبال أوتاداً".

◀ عندما تطورت كتابة عبد الله النديم في "التكيت والتبكيث"، وأحسَّ شريف باشا^(٤٧) بخطرتها، حاول التصدُّ للنديم وصحيفته؛ بهدف عدوله عن الكتابة في الأمور السياسيَّة، فكتب النديم مقالاً قصيراً بعنوان "تقريع الأغبياء" ندد فيه بالاستبداد، موضحاً أنه قد جاء زمن القوانين التي تحمي المواطن من بطش الحاكم، يقول في خاتمته: "مات زمن تحرير التذاكر السريَّة لإبعاد زيد أو نفي عمرو، وجاء زمن القوانين والأحكام الحقَّة، فقل لمن غاظه الحق وغلبه الصدق، وخاب سعيه في إهلاك أخيه موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور"^(٤٨).

ختم النديم مقاله هنا بنهاية نصِّ آية قرآنيَّة من سورة آل عمران، يقول الله فيها: "هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خُلُوعُوا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)"، وهي آية نزلت في المنافقين الذي يُظهرون خلاف ما يُبطنون للمؤمنين؛ فهم إذا التقوا معهم أظهروا لهم الإيمان، وإذا خلوا عضوا الأنامل غيظاً، يسقطها هنا على موقف شريف باشا ومنَّ على شاكلته، فيخلع عليهم صفة النفاق. يجتزئ بداية الآية ذاكراً من السياق الخاصَّ بالخطاب السياسي ما يعكس هذا النفاق، ثمَّ يختم الكلام بالدعاء عليهم بالموت غيظاً، وتذكيرهم أن الله عليم بما في صدورهم وسيحاسبهم عليه.

ويُتَّضح التفسير هنا كما في الجدول التالي:

التفسير الختامي	الخطاب السياسي	الخطاب الديني
شريف باشا ومنَّ على شاكلته = المنافقون.	فقل لمن غاظه الحق وغلبه الصدق، وخاب سعيه في إهلاك أخيه موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور...	"وإذا لفوكم قالوا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور".

◀ في مقاله "الذئاب حول الأسد"، يصوّر عبد الله النديم حالة مصر في الزمن القديم، وتسلسل بها إلى الزمن الحاضر، موضعاً كيف انحدرت من المجد والعزّ إلى الذلّ والمهانة بأسلوب رمزي مستعملاً فيه قصص الحيوانات، شبّه مصر فيه بالأسد الذي يكتب تاريخه وهو "كاسف البال باكي متغير اللون" لتغلب الوحوش وصغار الحيوانات عليه، حتى آل الأمر إلى أسد استقامت على يده الأمور، بعد أن كانت مختلة، "فيقول في نهاية المقال: "وبقيت الذئاب تخدعه وتحمل عليه بألسنتها، وتهدّده بقوّتها، وهو واقف بين الوحوش ثابت القدم قوي البأس، غير أن أفراد آجابه فسدت بواطنه، وحسنت لهم الذئاب الخروج عليه، فغفلوا عن ذل المستعبد وسطوة الأجنبي، وأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين وهذا مما قضى على الأسد بإعمال الفكر...." (٤٩).

تمثّل التفسير الخطابي هنا في نهاية كلامه في قوله "يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين"؛ حيث يتضافر مع جزء من نصّ الآية القرآنيّة من سورة الحشر، وهي قوله تعالى "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢)"، اجتزأ النصّ "يخربون بيوتهم بأيديهم"، واستبدل بـ"الظالمين" "المؤمنين"؛ لأنه يقصد بها الإنجليز.

تتحدّث الآية عن يهود بني النضير، ويتناول نص عبد الله النديم وصفه للإنجليز بـ"الظالمين" الذين تكالبوا على مصر مع بعض "الذئاب" من أهلها لإهلاكها. فالاجتزاء من النصّ القرآني يأتي كي يتناسب النصّ القرآني المأخوذ مع نصّ خطاب عبد الله النديم السياسي.

إدّاء، فقد جاء التفسير هنا كما في الجدول التالي:

التفسير الخطابي	الخطاب السياسي	الخطاب الديني
المصريون الخائنون لبلادهم = اليهود. الظالمون = الإنجليز.	يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين...	"يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين".

◀ بعد أن هدأت الأمور، وأصبحت مصر تشعر باستقرار في عهد الوزارة الدستورية، وتتخى العسكريون عن مسرح السياسة، وعادوا إلى معسكراتهم. وحتى لا يُظنُّ أنهم يتدخلون في السياسة، استجاب زعمائهم إلى الأوامر التي صدرت إليهم بالابتعاد عن العاصمة، فخرج عبد العال حلمي - أحد زعماء الثورة العراقيَّة - في أوَّل أكتوبر ليعسكر في دمياط، وكانت مظاهرة كبيرة خرج فيها الشعب والجيش ليودِّعوا بطلاً من أبطال الحرِّيَّة، وخطب فيهم عبد الله النديم قائلاً: "حماة البلاد وفرسانها... من قرأ التاريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل، عرف مقدار ما وصلت إليه من الشرف... فلكم الذكر الجميل والمجد المخلد، يباهي بكم الحاضرون من أهلنا، ويفخر بأثر الآتي من أبنائنا، فقد حيا الوطن حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقي، فإن الأمة جسد والجند روحه، ولا حياة للجسم بلا روح..."

ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تغيب سيدنا عثمان في أهل مكة من مبايعته أهل الشجرة على استخلاص صاحبهم، فصاروا يعنونون بالعشرة المبشرين بالجنة، وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الأوطان... وتبايعتم على الدفاع ووقاية أهليكم من كل ما يذهب بالثورة أو يضعف القوة أو يخدش الشرف، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم^(٥٠).

ظهر التفسير الخطابي هنا في ثلاثة مواضع، وهي:

- قول عبد الله النديم: "فقد حيا الوطن بكم حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقي؛" حيث ينشأ التفسير في كلامه هنا مع وصف الله تعالى حالة خروج

الروح من الجسد، في قوله تعالى من سورة القيامة "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)"، والترقوة هي مكان الحشجة، مكان نزع الروح من الجسد، وكأنّ هذا الحال كان هو حال مصر والمصريين؛ مشرفون على الموت وجاء إنقاذهم على يد جنودها. اجتزأ عبد الله النديم الشرط من الآية الكريمة؛ كي يتناسب ما أخذه منها مع سياق خطابه في وصف مدى تجبر الإنجليز، في مقابل شدة شجاعة المصريين.

- قول عبد الله النديم فيما يخصّ بيعة الرسول صلى الله عليه وسلّم نيابة عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وقت غيابه عن بيعة الرضوان التي ذكرها الله تعالى في قوله في سورة الفتح "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)" يعني حين بايع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله بالحديبية على مناخزة قريش الحرب، وعلى ألا يفروا، ولا يولوهم الدبر، وكانت بيعتهم له تحت شجرة. وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملاء من قريش، لما منعهم قريش من دخول مكة وكانوا قد قدموا للعمرة للقتال، فأبطأ عثمان رضي الله عنه عليه بعض الإبطاء، فظنّ أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم، فبايعوه على ذلك، ووضع النبيّ صلى الله عليه وسلم يده الأخرى، وقال: اللهم هذه عن عثمان^(٥١).

يذكر النديم موقف بيعة الرضوان إشادة باتحاد الجنود المصريين وثباتهم في وجه العدوان الإنجليزي؛ مثلما فعل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلّم معه حين بايعوه على الوقوف في وجه قريش، ومبايعته لعثمان بن عفّان، ثمّ يقول لهم " وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الأوطان... وتبايعتم على الدفاع... فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"، فيختم كلامه هنا بتضفير خطابي جديد مع نصّ الآية القرآنيّة من سورة التوبة "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

وَيُفْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)".

واختيار عبد الله النديم لتضفير الخطاب الديني القرآني مع خطابه السياسي يعكس مهارته الشديدة؛ حيث اختيار نصوص لأجزاء من آيات من سور متفرقة من القرآن الكريم، لتتوالى بهذه الصورة مع سياقه السياسي لتؤدي وظيفة جديدة في هذا السياق العاكس للواقع السياسي في تلك الفترة؛ فمصر كانت كالجسد الميت (بلغت التراقي)، ثم ببسالة جنودها وشعبها عادت روحها إليها من جديد (موقف النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان)، ثم النتيجة وهي بشرى بالفوز العظيم (فاستبشروا ببيعكم...).

ويأتي التضفير في هذا الخطاب كما في الجدول الآتي:

التضفير الخطابي	الخطاب السياسي	الخطاب الديني
الاستعمار = الموت.	فقد حيي الوطن بكم حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقي...	"كلا إذا بلغت التراقي".
جنود مصر في اتحادهم = المؤمنين.	ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تغيب سيدنا عثمان.... فصاروا يعنونون بالعشرة المبشرين بالجنة.	"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك...".
جنود مصر المترابطون = المؤمنون الفائزون.	ذكرت بنصّها...	"فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم".

- ثانيًا: التفسير مع الخطاب الشعري:

والخطاب الشعري هو الخطاب الذي يُبنى على أصول أدبية، بناءً على قواعد لغوية مدروسة، ومن خلال كلمات ذات إيقاع تحمل غرضًا ما، يريد الأديب أن يُوصله إلى المتلقي، وقد ورد هذا كثيرًا عند عبد الله النديم في خطابه عمومًا. واستعانته بالشعر في خطابه أمر بديهي، فهو شاعر نظم من الشعر الكثير، وإن كان قد ضاع أكثره^(٥٢).

والتفسير بين الخطاب السياسي والخطاب الشعري هو تداخل خطابات وتداخل أنواع Genres؛ فالخطاب أو المقال هو نوع من الكتابة يختلف في شكله عن الشعر؛ لكنه يتفق معه في الهدف؛ فخطابات النديم كان هدفها بث روح الوطنية والجهاد في نفوس المصريين للتحرك لمواجهة الاستعمار، والشعر أيضًا قد يلهب الحماسة ويدفعهم للنهوض للقتال عندما يوظف في سياق مناسب له.

ومن النماذج التي رصدتها الدراسة، قوله في خطبته عشية إعلان إنجلترا الحرب على مصر في عام ١٨٨٢ - سبق التعليق عليها في التفسير الديني -؛ حيث يقول مخاطبًا المصريين: "يا أهل مصر إنما آجال الناس محدودة، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فأخرجوا لحرب عدوكم، ولا تخشوا الموت فلكل أجل كتاب.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، تعددت الأسباب والموت واحد"^(٥٣).

وهو بيت شعرب لابن نباتة السعدي^(٥٤)، ذكره عبد الله النديم في خطبته تأكيدًا على معنى ثبات وقت الموت، لا يؤخره شيء ولا يقدمه شيء، وبناءً على ذلك فالموت في سبيل قتال الإنجليز أكرم من الموت بغيره. وهو في ذلك يرسخ فيهم عقيدة الجهاد في سبيل الله عن طريق الدفاع عن الوطن، وعدم الخوف من ملاقات الموت؛ حيث يذكر المعنى مرتين بأسلوبه ومرتين من الخطاب القرآني، ومرة من الشعر، والشيء إذا تكرر تقرر وثبت في الذهن،

وهذا هو هدفه الرئيس من هذه الخطبة.

◀ ويقول عبد الله النديم في خطبة له بعنوان "زفاف الحرية في مصر"، وهو يودّع عرابي ليعسكر في رأس الوادي، بعد صدور المرسوم بإجراء الانتخابات، وتتحوّل العساكر عن السياسة، فخرجت حشود من القاهرة، وتجمّعت في ميدان المحطّة، وطلبوا منه أن يخطب فيهم، فخطب خطبة طويلة، أذكر المواضيع التالية:

يقول في بدايتها: "سادتي وإخواني وآبائي..."

أروني أمةً بلغت مُناها بغير العلم أو حدّ اليماني

ف(حدّ اليماني) المقصود به السيف؛ يقصد أن سبيل بلوغ المُنَى هو قتال العدو، ثمّ أسهب في الحديث عن ضياع الوطن وإذلال الشعب من قبل الإنجليز، ثمّ قيام جنود مصر بالدفاع عنها ببسالة ونادوا بالحرية، وقال بعدها: "فنحن ننادي الآن بألسنتنا بصوت يسمعه القاصي والداني: يموت الاستبداد، وتعيش الحرية، يهلك الجبان ويبقى جيش الحمية، ولكن قد قال قبلي شاعرنا العربي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وليست الحرية تتبّع الشهوات البهيمية والأغراض الذاتية، وإنما هي معرفة الحقوق والواجبات، والسير تحت لواء الإنسانية ...

فما الفخر في جمع الجيوش وإنما فحار الفتى تأليف قلب

العساكر"

ثمّ طلب منهم الدعاء لعرابي، فما خروجه من مصر لإطاعة للأوامر لنقطع السنة الأعداء، وختم خطبته بقوله " فلكم وطني وإن اختلفت المقاصد..."

فالناس شتى في التنافر والمراء والكل إن ألفتهم إنسان"^(٥٥)

والأبيات التي تداخلت هنا مع الخطاب السياسي هي من نظم عبد الله

النديم ما عدا بيت المتنبي: "الرأي قبل شجاعة الشجعان....." (٥٦)، وهي كلها أبيات حماسية تضافرت مع خطابه السياسي لتزيد من حماسته، ومن شأنها أيضاً رفع معنويات المصريين، وتأكيد شجاعة الجنود الذين غادروا من أجل مصلحة الوطن؛ لا ضعفاً واستسلاماً.

«مثلت خطبته التي خطبها واصفاً يوم "قنطرة القصاصين" ذورة الحماسة والانفعال، وفيها قال النديم أحد عشر بيتاً من نظمه (٥٧)، على النحو التالي:

فجسمي وروحي همّة وجنان	بني العرب هيّا لا يعيش جبان
به العرض في وسط الوجود يُصان	أنا النار تُذكو غير أن لهيبها
ونارٌ لديها الإنجليز تُهان	أنا الجنة الفيحاء لابن شهادة
فليس لأهل البغي بعد أمان	أديروا بني مصر رحاي على العدا
فإن لم تكونوا حافظيه يُهان	لكم وطن لا يعرف الحسن غيره
دياراً تراها عسجد وجُمان	ورثوا عدواً يبتغي بقتالكم
ليعرفه بعد الحروب هوان	أروها الليلي السود بالضرب في الضحى
تحديثه عما تبين عيان	أروه وقوف الأسد تحمي ديارها
وليس لمملوك النساء رهان	فعار إذا ما قيل خصم مراهن
وهم في الورى عقد المديح يزان	وعار إذا قالوا قهرنا أعزة
سياستها دون الأنعام دهان	فكونوا رجالاً أهلكوا شر أمة

وكما سبق الحديث عن يوم القنطرة، فقد ذكر البحث من قبل أن عبد الله النديم قد تعمق في الوصف، وكانت خطبته في وصف هذا اليوم حماسية جداً، ويعكس الشعر هنا أيضاً هذا الحماس ويزيده عن طريق استخدام الألفاظ الانفعالية؛ مثل:

(جبان/همّة/جنان/النار/لهيب/العرض/الجنة/ونار/تهان/العدا/البغي/يُهان/قتالكم/

السود/الحروب/ هوان/الأسد/الثبات/عار/قهرنا/أعزة/رجال/شر/أهلكوا) بها يذكي روح التضحية والإقدام في نفوس المصريين، وتوظيف التكرار في بعض مواضعها يزيد من أثرها فيهم. ويمكن القول أنه قلماً يخلو خطاباً لعبد الله النديم من الشعر؛ فهو شاعر، والشعر أداة بالغة الأثر في الجماهير.

* * *

الخاتمة:

بعد دراسة التفسير الخطابى في الخطاب السياسى عند عبد الله النديم، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

◀◀ ظهر التفسير الخطابى عنده في نوعين؛ هما:

●● أولاً: التفسير مع الخطاب الدينى: وظهر في خطابات عبد الله النديم في نمطين:

(١) التفسير الخطابى المتقارب: ويعنى أن خطابه السياسى قد تداخل مع الخطاب الدينى بطريقة متتابعة وبكثافة.

(٢) التفسير الخطابى المتباعد: ويعنى أن التفسير قد ظهر في مواضع متناثرة متفرقة على مدار المقال كله، في العنوان أو المقدمة أو في الخاتمة أو في أجزاء أخرى من الخطبة.

ووفقاً لهذين النوعين يمكن حصر الألفاظ والتراكيب والجمل الدينية التي تداخلت مع الخطاب السياسى لعبد الله النديم في أنها كانت تخص المصريين في مقابل الإنجليز، وما يتصل بهما، كما يلي:

- المصريون المجاهدون هم (المؤمنون / الفائزون/ سيرحهم الله ويرضى عنهم ويدخلهم جنات خالدين فيها أبداً، لهم فيها نعيم مقيم/ قتالهم جهاد في سبيل الله/ لن يغني الله المصريين ولن ينصرهم، إلا بتعاونهم وتآزرهم/ الذين يقاتلون في سبيل الله صفاً/ المنقون / مآلهم الجنة/ جند الله الغالبون/ قوم مؤمنون/أوتاد الأرض).

- الإنجليز ومن ناصرهم (نجس، حرام عليهم قرب مصر بعد كل ما فعلوه/ مثل آل فرعون في العدوان والتجبر/ الغاؤون/ مآلهم الجحيم/ الجراد المنتشر/ الكافرون/ الشيطان/ المشركون/ الكافرون/ وقود النار/ المنافقون/ اليهود).

●● ثانيًا: التفسير مع الخطاب الشعري:

وقد ورد كثيرًا عند النديم في خطابه عمومًا؛ فخطاباته كان هدفها بث روح الوطنيّة والجهاد في نفوس المصريين للتحرك لمواجهة الاستعمار، ويمكن القول إنّه قلّمًا يخلو خطاب لعبد الله النديم من الشعر؛ فهو شاعر بطبعه، كما أن الشعر أداة مهمّة للتأثير في الجماهير.

◀◀ ركّزت الدراسة في معالجتها على خطابات عبد الله النديم المنشورة في جريدة الطائف (فيما هو متاح؛ لضياح أكثر أعدادها)؛ لأنها كنت لسان الثورة، وكانت موضوعاتها سياسية، وكانت سلاحًا دعائيًا للجيش المصري في بث روح الحماسة في نفوس المصريين، وفي المقابل بثّ الذعر في نفوس الإنجليز.

◀◀ استخدم النديم آلية الاجتزاء؛ فهو يأخذ من نصّ الخطاب القرآني أو الشعري ما يتناسب مع سياقه في الخطاب السياسي، ومن ثمّ ينشأ التفسير الخطابي بينهما.

◀◀ انتهج عبد الله النديم في خطابه أسلوب "الإقناع العاطفي"؛ وقد انعكس ذلك في الخطابات المتصافرة مع خطابه؛ حيث الاهتمام بحشد الألفاظ والأساليب الانفعاليّة التي تستهدف عاطفة المتلقّي بقوة (سواء كانت انفعاليّة بذاتها أو انفعاليّة عن طريق توظيفها في السياق)؛ وذلك يرجع إلى طبيعة الفترة التي كتبت فيها؛ حيث الحروب المتتاليّة بين المصريين وبين مستعمر يمارس القمع معهم؛ فبالغ عبد الله النديم في وصف هذا القمع من قبل الإنجليز في مقابل المبالغة في وصف انتصارات المصريين عليهم، وبالغ أيضًا في وصف هزيمتهم أمام المصريين.

◀◀ لا يرفع النديم في دعوته إلى الدفاع عن الوطن عن طريق تضيير الخطاب الديني مع السياسي، لا يرفع قدر الخطاب السياسي فحسب؛ وإنما يحوّل القضية من سياسية إلى قضية

مدعومة دينياً بنصوص قرآنية، يدخلها في نسيج نصّه، وكأنها جزء منه.

◀◀ جاء التضيير الخطابى لخطابات النديم السياسية مع الخطاب الديني في عينة الدراسة بنسبة كبيرة تفوق تضيير الخطاب الشعري معها.

الهوامش

- (١) انظر د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.
- (2) WU Jianguo: Understanding Interdiscursivity: A Pragmatic Model, Journal of Cambridge Studies (March 2010-March 2011), p.96.
- (٣) د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة، ص ٢٦٧.
- (4) Shazia Ayyaz: An Interdiscursive Analysis of Post-The Innocence of Muslims Political Discourse at UN Forum, International Journal of English Linguistics; Vol. 7, No. 6; 2017, p.275.
- (5) Fairclough, N: Intertextuality in critical discourse analysis. Linguistics and Education, 1992, p.84. [https://doi.org/10.1016/0898-5898\(92\)90004-G](https://doi.org/10.1016/0898-5898(92)90004-G)
- (6) WU Jianguo: Studies on Interdiscursivity, South China University of Technology, Guangzhou, China, July 2012, Vol. 9, p.1312.
- (7) WU Jianguo: Understanding Interdiscursivity, p.98.
- (٨) د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (9) WU Jianguo: Understanding Interdiscursivity, p.98.
- (١٠) د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة، ص ٢٦٨
- (11) WU Jianguo: Understanding Interdiscursivity, p.96.
- (12) Norman Fairclough: Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research, Routledge, 2003, p(65-66).
- (13) Norman Fairclough: Intertextuality in critical discourse analysis, Linguistics and Education, Volume 4, 1992, review pages (269-293).
- (١٤) د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، ص ٢٧٥.
- (١٥) وقد تناول د. عماد عبد اللطيف في كتابه تحليل الخطاب السياسي المصطلحات الواصفة للعلاقات بين النصوص، والشائعة في الدراسات النقدية الخطاب، وهي: التناص، والحوارية، والتضفير الخطابي، والانتقاد الظاهر والمستتر، وإعادة بناء

السياق. راجع الصفحات (٢٦٦ - ٢٧٠).

(١٦) نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٥٤، ص ١٠، وراجع أيضا عبد الرحمن الرفاعي: الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٤٩، ص ٧٦.

(١٧) د. محمد قاسم: جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٦.

(١٨) مثل جريد "أبو نظارة زرقا" ليعقوب صنوع، وجريدة "الوطن" التي أنشأها ميخائيل السيد، و"جريدة مصر" لأديب إسحق، و"التجارة" لسليم النقاش وغيرها من الصحف السياسية. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ص ٦٨.

(١٩) لا توجد كلمة (النديم) في اسمه الحقيقي؛ بل اسمه عبد الله بن صباح بن إبراهيم الإدريسي. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية، ١٣٧٧ هـ، ج ٤، ص ٢٨١.

(٢٠) للاستزادة مما يخص حياة النديم الزاخرة بما يستحق الكتابة عنه، راجع: المقدمة التي كتبها عنه صديقه أحمد سمير في الكتاب الذي طبعه أخوه عبد الفتاح النديم وعنوانه: سلافة النديم في انتخابات السيد عبد الله النديم ج ١، طبع بالمطبعة الجامعة بمصر، الطبعة الأولى، ١٨٩٧، ص ٣-٢٣، التي ختمها بقوله: "أحسن الله عزاء الوطن فيه، وأنزل على قلب الوجود الصبر والجلد إنه على كل شيء قدير"، وراجع أيضًا كتاب عبد الله النديم "كان ويكون" الذي بدأ كتابته خلال فترة اختفائه ٨ مارس ١٨٨٣، بعد هربه من الإسكندرية إلى إحدى قرى مصر. وقد أعادت دار الكتب والوثائق القومية طباعته بتقديم د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٥.

(٢١) د. محمد أحمد خلف الله: عبد الله النديم ومذكراته السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦، ص ٣٨.

(٢٢) د. عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: عبد الله النديم، ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية، المركز المصري للكتاب، ١٩٨٠، ص ٥٩.

(٢٣) قال عنه أستاذه جمال الدين الأفغاني: "ما رأيت مثل النديم طول حياتي في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة، ووضوح الدليل، ووضع الألفاظ وضعا محكما، بإزاء المعاني إن خطب أو كتب". د. علي الحديدي: عبد الله النديم خطيب الوطنية، مكتبة مصر، ص٧.

(٢٤) يقول عنه د. علي الحديدي في كتابه: عبد الله النديم خطيب الوطنية، أن النديم قد سرد في خطبه وصفه الكثير من الحقائق لم يجرؤ أن يذكرها المؤرخون العرب وقتها، ص٧٢.

(٢٥) بالإضافة إلى صحفه التي حملت اسمه، كتب النديم أيضا في صحف عصره؛ مثل "التجارة" و"العصر الجديد" و"مصر المحروسة"، وقد بلغت مؤلفاته مائة، فقد أكثرها سرقة أو اغتصابا أو رميا في النيل(ص٤)، ومن مؤلفاته: كتابه "كان ويكون"، الذي ألفه وقت اختفائه في قرى مصر ونجوعها حوالي عشر سنوات، ومخطوطه المعلنون "تاريخ مصر في هذا العصر"، أو أثناء وجوده في منفاه في تركيا؛ حيث ألف كتاب "المسامير" في هجاء أبي هدى الصيادي، (يُضاف إلى ذلك ما جمعه أخوه عبد الفتاح النديم ونشره تحت عنوان "سلافة النديم في انتخابات السيد عبد الله النديم")، ومنها خطبه المتعددة التي ألقاها قبيل الثورة العربية أو خلالها، ومنها وثائقه الخاصة بدوره في التمهيد للثورة العربية وخلالها (راجع كتاب: عبد الفتاح النديم: سلافة النديم في انتخابات السيد عبد الله النديم، ص٢٠-٢١).

(٢٦) شهدت مصر في ١٨٦٥ ميلاد أول صحيفة مصريّة بعد صحيفة "التنبية" على عهد الفرنسيين، وبعد "الوقائع المصرية" في عهد محمد علي، وهي مجلة "اليعسوب" التي أنشأها محمد علي باشا الحكيم وإبراهيم الدسوقي، ومنذ ذلك التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر نخرت مصر بالصحف السياسية. نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العربية، ص٢٢.

(٢٧) التكتيت والتبكيث: أعادت الهيئة المصرية العامة للكتاب طباعتها في كتاب من تقديم د. عبد العظيم رمضان، د. عبد المنعم إبراهيم الجمعي، ١٩٩٤، العدد الأول ٦ يونيو، ١٨٨١ ص٣٦.

(٢٨) د. عبد المنعم الجمعي: مقدّمة التكتيت والتبكيث، ص٩.

- (٢٩) د. علي الحديدي: عبد الله النديم خطيب الوطنية، ص ١٦٣.
- (٣٠) السابق نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.
- (٣١) كتب فيها عبد الله النديم أخذ ما كتبه صحفي حتى الآن عن ظلم إسماعيل واغتصابه حقوق الشعب وأملاكه دون حسيب أو رقيب، وقد كتب فيها تحت عنوان: "مصر وإسماعيل باشا" ما رآه في تجواله في قرى الصعيد والوجه البحري، وفي رحلته الأولى والثانية؛ قال عنه أنه كان يستمتع بامتصاص دم ضحاياه قطرة قطرة حتى تصبح عظاماً = نخرة... (د. علي الحديدي: عبد الله النديم خطيب الوطنية، ص ٧٢)، كما أنه كتب عن توفيق الذي خان الأمانة، وخان الشعب، وسلّم بلاده للإنجليز واهتم بالدول الأجنبية، وقد ألحق مع الطائف ملحفاً كان يبيح فيه لنفسه حرية النقد والتجريح والذم فوق ما ينبغي لصحفي شرقي أو غربي. نجيب توفيق: عبد الله النديم، خطيب الثورة العربية، ص ١٥٧.
- (٣٢) ومن المؤسف أن أكثر أعداد جريدة الطائف قد فُقدت، وبخاصة الأعداد الأولى منها، والموجود منها في دار الكتب عشرون عدداً غير متتابعة، تبدأ من العدد ٤١ وتنتهي بالعدد ٨٠، وحتى هذه أخذت تتآكل. د. علي الحديدي: عبد الله النديم خطيب الوطنية، ص ١٦٥.
- (٣٣) نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العربية، ص ١٥٧-١٥٩، وراجع جريدة الأستاذ: عبد الله النديم، دار كتبخانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص ١٠١٧.
- (٣٤) جريدة الطائف بتاريخ: ١٨٨٢/٧/٢٨.
- (٣٥) د. عماد عبد اللطيف: استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، خطب الرئيس السادات نموذجاً، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ٢٣٧.
- (٣٦) د. إيمان السعيد جلال: لغة الإعلان التجاري، دراسة لما نشر في عامي ١٩٥٢ و ٢٠٠٢ في جريدة أخبار اليوم، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٧٥-٧٦.
- (٣٧) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان الأشعث): سنن أبي داود حقه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قربللي، دار الرسالة العالمية، سوريا، ٢٠٠٩، باب: "مَا يَدْعُو بِهِ إِذَا خَافَ نَاسًا أَوْ غَيْرَهُمْ"، (١٥٣٧).

- (٣٨) تل المسخوطة: يقع على بعد ١٥ ك غرب الإسماعيلية، وشرق مدينة التل الكبير.
- (٣٩) معركة القصاصين هي معركة نشبت في الإسماعيلية في ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ بين القوات البريطانية ومصر في حملة بريطانيا عام ١٨٨٢ لاحتلال مصر. انتهت المعركة بانتصار القوات الإنجليزية وحدث مذبحة بين أهالي القصاصين.
- (٤٠) الطائف: بتاريخ ١/٩/١٨٨٢.
- (٤١) الطائف: بتاريخ ٢٤/٧/١٨٨٢.
- (٤٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، تفسير سورة الإسراء.
- (٤٣) الطائف بتاريخ ٢٤/٨/١٨٨٢.
- (٤٤) مدينة تقع في محافظة البحيرة.
- (٤٥) راجع تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) لسورة الزخرف، مرجع سابق.
- (٤٦) الميداني (أبو الفضل النيسابوري): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، الجزء الأول، ص ١٠.
- (٤٧) اسمه محمد شريف باشا (١٨٢٦ - ١٨٨٧)، مصري من أصل تركي، رئيس أول وزارة مصرية خالية من العنصر الأوربي، وكانت أول وزارة مصرية أنجبتها الحركة الوطنية في تاريخ مصر الحديث، عبد الرحمن الراعي: عصر إسماعيل، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٤٨، الجزء الأول، ص ٨.
- (٤٨) التنكيت والتبكيك: العدد ١٧، بتاريخ ١٩/١٠/١٨٨١.
- (٤٩) التنكيت والتبكيك: العدد السابع، بتاريخ ٢٤ يوليو ١٨٨١.
- (٥٠) التنكيت والتبكيك: بتاريخ ٩/١٠/١٨٨١.
- (٥١) تفسير الطبري لسورة الحشر، ج ٢١.
- (٥٢) ذكر د. علي الحديدي في كتابه: عبد الله النديم، خطيب الوطنية، أن دوواين النديم الثلاثة قد ضاعت، والمحفوظ من شعر النديم لا يتجاوز مئات الأبيات، أغلبه من الشعر الذي بقي بعد هزيمة الثورة العربية. ص ٧-٨.
- (٥٣) الطائف بتاريخ: ٢٨/٧/١٨٨٢.
- (٥٤) ديوان ابن نُبَاتَةَ السُعْدِي (أبو نصر عبد العزيز بن عمر) (٩٣٨ - ١٠١٥م)، دراسة

وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧، الجزء الأول، ص٨٧.

(٥٥) التكتيت والتبكييت: العدد ١٧، بتاريخ ١٩/١٠/١٨٨١.

(٥٦) المتنبى (أحمد بن الحسين): الديوان، دار بيروت، ١٩٨٣، ص٤١٤.

(٥٧) الطائف: بتاريخ ١/٩/١٨٨٢.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨.

أديب إسحق: الدرر، مطبعة الآداب، ١٩٠٥.

د. إيمان السعيد جلال: لغة الإعلان التجاري، دراسة لما نشر في عامي ١٩٥٢ و ٢٠٠٢ في جريدة أخبار اليوم، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية، ١٣٧٧ هـ.

أبو داود (الإمام الحافظ سليمان الأشعث): سنن أبي داود حقه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قريللي، دار الرسالة العالمية، سوريا، ٢٠٠٩.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

عبد الرحمن الرافعي: الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٤٩.

عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٤٨.

عبد الفتاح النديم: سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم، المطبعة الجامعة بمصر، الطبعة الأولى، ١٨٩٧.

عبد الله النديم: جريدة الأستاذ، دار كتبخانة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

عبد الله النديم: التكتيت والتبكييت، تقديم د. عبد العظيم رمضان، د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، ١٩٩٤.

عبد الله النديم: كان ويكون، تقديم د. عبد العظيم رمضان، د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، دار الكتب ١٩٩٥.

د. عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية، المركز المصري للكتاب، ١٩٨٠.

د. علي الحديدي: عبد الله النديم خطيب الوطنية، مكتبة مصر، القاهرة.

د. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة، كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٢٠.

د. عماد عبد اللطيف: استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، خطب الرئيس السادات نموذجًا، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

المتنبي (أحمد بن الحسين): الديوان، دار بيروت، ١٩٨٣.

الميداني (أبو الفضل النيسابوري): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

د. محمد أحمد خلف الله: عبد الله النديم ومذكراته السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦.

د. محمد قاسم: جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته، مكتبة الأنجلو المصرية. ابن نباتة السعدي (أبو نصر عبد العزيز بن عمر): الديوان، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧.

نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العربية، مكتبة الكليات الأزهرية،
١٩٥٤.

– ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- Norman Fairclough: Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research, Routledge.
- Norman Fairclough : Intertextuality in critical discourse analysis, Linguistics and Education, Volume 4, 1992.
- Shazia Ayyaz: An Interdiscursive Analysis of Post-The Innocence of Muslims Political Discourse at UN Forum, International Journal of English Linguistics; Vol. 7, No. 6; 2017.
- WU Jianguo: Studies on Interdiscursivity, South China University of Technology, Guangzhou, China, July 2012.
- WU Jianguo: Understanding Interdiscursivity: A Pragmatic Model, Journal of Cambridge Studies (March 2010-March 2011).